

بغداد في القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي)

المنشور الفرنسي ماريوس كنار

ترجمة الدكتور

اكرم فاضل

مديرية الفنون والثقافة الشعبية - وزارة الاعلام
بغداد

لدوام حياتها وازدهارها . ولن نثلب طويلا عند تدهور الخلافة العباسية التي تابعت انحدارها الذي استعصى علاجه تحت حكم القنتر (٢٩٥ - ٣٢٠ / ٩٠٨ - ٩٣٢) مع حكومة كانت في الواقع حكومة نساء وخمسين لا يملك حياها وزير من وزن علي بن عيسى او زعيم عسكري مثل مؤسس حولا ولا طولا . لقد عرف هذا الحكم الطويل ازمسين كادتا تقذفان بالخليفة من على عرشه . الازمة الاولى كانت اثناء الثورة الفاسلة ، لدى تسنم القنتر زمام الحكم ومغامرة ابن المعتز ، الشاعر المشفق الذائع الصيت ، خليفة اليوم الواحد ، ذلك اليوم الذي كلفه حياته . والازمة الثانية كانت عام ٣١٧/٩٢٩ ، حين وضعت ثورة اخرى اخا الخليفة على العرش والنتيجة بعد عدة ايام بعودة الخليفة الى عرشه . ولكن القنتر كان طوال حكمه العوية بأيدي افراد حاشيته وبطانته الذين ساندتهم امه شغب . وقد سقط هذا الخليفة قتلا وهو يصارع بشخصه صراع المستميت انتفاضة عسكرية . اما خلفه وهو اخوه القاهر ، بطل مجازفة عام ٣١٧ الناس ، فقد خلع وسلط عيناها عام ٣٢٢/٩٣٤ اثر وبسة سياسية عسكرية اقعدت اعوام (٣٢٢ - ٣٢٩ / ٩٣٤ - ٩٤٠) على العرش احد ابناء القنتر وهو الراضي . وفي عهد هذا الخليفة كمل انحطاط الخلافة ، وقام النظام الذي سلم مقاليد السلطان كلها بيد امير الامراء الذي ازرى بالخليفة فلم يعد يعتبره عاهلا الا بالاسم ، واحتفظ الخليفة لنفسه بالمنزلة التي يخوله اياها لقب خليفة الرسول ، عترة النبي ، والسلطة الظاهرية بالتقليد الذي يخلعه الخليفة على رؤساء الامارات الذين يعترفون

ان القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر كذلك (لان بحثنا لابد له ان يتجاوز القرن العاشر) هما لبغداد فترة فلال سياسي ودينية واجتماعية انزلت بمجموعها ضربة خطيرة على يافوخ رفاه المدينة ومنزلتها في العالم الاسلامي . وفي خلال هذه الحقبة ذاتها اصبحت عاصمة الامبراطورية الاسلامية عاصمة دولة تقتصر في معظم الاحوال على سواد العراق ، ولو لم تكن بغداد رمزا للخلافة ، الخلافة التي ظلت تحيطها بهالتها الثلاثة ، تقول لولا ذلك ولولا انها ديمومة للتشكيلات الادارية للماضي رغم تهافتها ، ولولا بقاء مجتمع ارستقراطي وبرجوازي وارثا امجاد العهد السالف ، ولولا النشاط الثقافي الذي ظل يسمع اضاءه ، لولا كل هذه لما بقيت لبغداد أهمية تفوق أهمية عواصم الدول الثانوية التي نشأت نتيجة لتفكك الامبراطورية العباسية . وفي نهاية القرن العاشر ظهرت عاصمة اسلامية كبرى ثانية طفت تحت مجد بغداد التي لم يبق الا اسما دليلا على عظمة مدينة القرن المنصرم .

وها اننا نأخذ على عاتقنا بحث الحياة السياسية والحياة الدينية والحياة الاجتماعية والاقتصادية لبغداد في ذلك الاوان ورسم المراحل الرئيسية له .

الحياة السياسية :

اجتازت بغداد في هذه الفترة سلسلة من الازمات السياسية الخطيرة التي لم تقع دون ان تؤثر في جو طمانينة بغداد وسلامها ، هذين العنصرين اللذين تحتاج اليهما كل مدينة عظمى

بسلطته الروحية ، كما يعترف بها امير الامراء بسبب التقليد نفسه ، ومن ذلك التاريخ اتصلت حلقات الازمات وتفاقت شروها ، سواء اثناء تعيين أحد امراء الامراء او خلال تنصيب الخليفة نفسه .

وقد نشب صراع لا رحمة فيه على نيل لقب امير الامراء واحتكار السلطة الفعلية . فكان المتراحمون هم القادة المكربون وكان معظمهم من اصل غير عربي ، وينضو تحت لواثم المرتزة الاتراك والدليم ، وهناك القوات الانطاكية وائمة حرس الخليفة وقادته .. رؤساء كل هذه القوى كانوا يسيطرون للاستئثار بالسلطة .

وقد خلف ابن رائق (٢٢٤ - ٢٢٦) (وهو الحائز الرسمي الاول على لقب امير الامراء ، وكان سابقا واليا على واسط والبصرة) مرؤوسه القديم بجكم (٢٢٦ - ٢٢٩ / ٢٢٨ - ١٩٤١) . وبعد موت بجكم ، وغب مرور فاصل زمني مارس فيه البريدي والي البصرة السلطة خلال شهر في بغداد ، فثار كورنكيچ الفارابي الديلمي عام (٢٢٩ - ١٩٤١) ؛ بهذا المنصب ، ولكنه سرعان ما تنازل عن منصبه لابن رائق الذي عاد في ايلول من العام نفسه . واذ اضطر ابن رائق الى الفرار امام عودة البريدي وكان قد جلب معه الخليفة المتقي (٢٢٩ - ٢٣٣ / ١٩٤٠ - ١٩٤٤) لم يسلم بهذا القرار فقد قتل في نيسان ١٩٤٢ بامر من امير الموصل الحمداني . والامير الحمداني بامدادته الخليفة الى عاصمة ملكه اصبح امير الامراء في السنة نفسها مع لقب ناصر الدولة . غير انه طرد عام ١٩٤٣ من قبل الامير التركي توزون ، الشار عليه ، الذي امسى امير الامراء . ولكن وفاة توزون عام ١٩٤٥ آتت ١٩٤٥ ، ترك السلطة مفتوحة امام ناصر الدولة الذي كان يحلم بالاستحواذ على السلطة في بغداد ، وكان امير الامراء الجديد ابن شيراز الذي اختارته القوات المسلحة يرى في وقت من الاوقات الانسحاب من الميدان . ولكن أحمد بن بويه الديلمي (وكان قد خدم مرداويج ، السيد الجديد لفارس الشمالية الغربية ، مستوليا على خوزستان ، وقد سبقت له محاولة النفوذ الى العراق) هاهو يحتل بغداد عام ٢٣٤ / ١٩٤٦ وينفذ فيها امير الامراء مع لقب معز الدولة ، وباحتلاله هذا تائق في بغداد نجم اسرة سميت بالاسرة البويهية ، كان من افرادها امراء الامراء ، وقد تطور نفوذهم اكثر فاكثر بانجاح سلطة (السلطان) بالرغم من ان الامراء البويهيين لم يتسموا بهذا اللقب ؛ ولو انهم قد تبنا بعد ذلك لقب مالك الدولة بل الشاهنشاه .

خلف معز الدولة ابنه بختيار دون حدوث ازمة سياسية (٣٥٦ - ٣٦٧ / ١٩٧٨) . ولكن تدابير السياسة الخرقاء جعلت رئيس الاسرة البويهية ، وكان آنذاك عضد الدولة سيد فارس ، يطوح ببختيار ويضم الى ممتلكاته العراق وبغداد عام ٣٦٧ / ١٩٧٨ . وعند موت عضد الدولة عام ٣٧٢ / ١٩٨٣ نبث من جديد ازمات الوراثة وشن اولاد عضد الدولة الحرب على بعضهم . وتسلم احدهم ، بهاء الدولة ، ازمة الحكم في بغداد عام ٣٧٩ / ١٩٨٩ وظل يحكم حتى عام ٤٠٣ / ١٠١٢ . وببهاء الدولة بدا افول طالع الاسرة البويهية .

وبالرغم من ان الخلفاء لم تعد لهم طاقة ولاوقوة فان توارث الخلافة لم يحدث دون وقوع اصطدامات . فالخليفة المتقي بن المقدر الذي اجلسه الامير بجكم على العرش عقب وفاة الرازي عام ٢٢٩ / كانون الاول ١٩٤٠ ، خلع عن العرش وسلمت عنيته بامر امير الامراء توزون عام ٢٣٣ / ١٩٤٤ . واستخلف توزون على العرش المستكني الذي سملت عنيته ونحي عن العرش عام ٢٣٤ / ١٩٤٦ بامر معز الدولة . واجلس محله على العرش الطيع ، العدو الشخصي للمستكني . ولكنه ارغم عام ٣٦٣ / ١٩٧٤ على التخلي عن العرش لولده الطائع بامر العاجب التركي سبكتكين . وقلب بهاء الدولة الطائع عن العرش عام ٣٨١ / ١٩١١ . فسي سبيل الاستيلاء على ممتلكاته . وحكم خلفه القادر حتى عام ٤٢٢ / ١٠٣١ ، ورأى ابنه القاتم نهاية الاسرة البويهية ومجيء السلاجقة . كانت هذه التبدلات العديدة مصحوبة في اغلب الاحيان باضطرابات مدنية او عسكرية واعتقالات ومداهمات كبس وتمقيبات وقد ترافقها حوادث قتل . وبعد اخفاق القاهرة عام ٣١٧ / ١٩٢٩ لم يحدث اعدام نظرا لاعتدال المقدر . وكانت المارك التي تدور بين الطامحين الى امرة الامراء دامية : كانت تحرق دار الامير السابق بعد هزيمة صاحبه العسكرية وتنهب (كما حدث لدار بجكم على ايدي رجال ابن رائق حينما ظهر مجددا في بغداد) . وعانت المدينة نفسها الايرين من ويلات شرور المعسكر . وكان الاهالي يتفقون بقسوة احيانا . وعلى هذا النوال ذبح ديلم الامير كورنكيچ عام ٣٢٩ . ولم تجلب الحرب الاهلية معها الا انفساد الحياة الاقتصادية كما سنرى .

وفي ايام حكم المقدر كانت ترافق تبدلات الوزراء أعمال انتفاضة تنصب على رأس الوزير الساقط : كان يسجن ويقدم للمحاكمة ويحكم عليه بفرامة فادحة وكان يعذب احيانا بل يحكم عليه

بالموت ، كما وقع لابن الفرات . وكان الشعب نفسه يشاطر في الاجراءات الانتقامية ضد الوزير فينهب داره .

ونحن لا نحصى اقل من سبعة وعشرين تبديلا من تبدلات الوزراء في عهود حكومات القنطرة والقاهر والراضي ، فان وزراء امراء الامراء او بالاحرى كتابهم الذين كانوا في الواقع وزراء حقيقيين ووزير الخليفة الذي لم يعد له من الحكم شيء - رغم استمراره في البقاء ، تقول كان هؤلاء الوزراء جميعا لا يتفكرون عن التبدل ، وفي عهد معز الدولة كان ثمة شيء من الاستقرار : لم يكن لديه الا وزيران ، المهلبى حتى عام ٣٥٢ / ٩٦٢ ، وبعد ذلك الشيرازي وابن الفتنجاس في آن واحد . وقضية المهلبى قضية غريبة : اذ جلده الامير بالعصى ولكن رغم ذلك استبقاه وزيرا . كان في بعض عهود خلفاء معز الدولة ، واسيما بهاء الدولة ، شلال حقوقي من الوزراء . نستخلص من هذا ان طابع الحياة السياسية في تلك الحقبة كان عدم الاستقرار الذي يفسر جزئيا القلاقل التي شملت المدينة . وفي الفترة التي تمنينا تركيز الحياة السياسية والحياة الادارية في مدينة الجانب الايسر من دجلة حول قصور الخلفاء والوزراء وامراء الامراء . وتؤلف منظومة دور الخلفاء مدينة حقيقية بحرمها الخاص وكانت تسمى دار الخلافة الواقعة على دجلة قرب سافلة حي المحزم وحي (سوق الثلاثاء) . وكانت تتألف من ثلاثة قصور رئيسية ، الخزانة ، التاج ، الفردوس ، الواقع بعضها على مقربة من بعض ، وفي الحدائق التي توجد فيها سرادقات او قصور ثانوية يصعب علينا تعيين مواقعها ، كدار الاترجة او دار الشجرة . اما قصر الخزانة فمدين باسمه الى وزير المأمون الحسن بن سهل ، الذي اهداه اليه . وكان اقدم المجموعة . واما قصر التاج الذي شرع بتشييده المعتمد ، فقد واصل العمل فيه المكثفي الذي بنى كذلك مسجد القصر ، وكان موقعه كوقع الخزانة على شاطئ دجلة ، اكثر بعدا عن محيط المدينة . واما قصر الفردوس ، فهو اثنى لان قاصديه ينفذون من قصر الفردوس الى مسجد القصر الذي يوسنا ان تقرر موقعه اعتمادا على الانتفاض الباقية منه . وهناك قصر آخر هو دارالثرىء وكان يقع بعيدا الى الوراء ، لانه كان على مسافة ميلين بعدا عن قصر التاج وقصر الخزانة ، وكان يشتمل على حديقة حيوانات وغابة صيد (حير الوحوش) ولا رب انه صيغ على مثال حديقة الحيوان الفارسية الفردوس . وقد اهتم الخليفة المعتمد بحير الوحوش اهتماما خاصا . وبين قصور ضفاف

دجلة ودور الثرىء تقع الحلبة التي كانت ساحة للعبة الكرة والصلولجان .

في قصور الخلفاء هذه اظهر المهندسون والفنانون والصناع البغداديون كل ما اوتوه من مهارة وابداع ونوبغ ، ارضاء لنزوات الخلفاء ، فاعطوا الزوار المسلمين والاجانب انطباعا عن ثروة وثرف لا ضرب لهما ومنافسة للقصر العظيم الكائن في القسطنطينية الذي كان يعرفه سفراء الخلفاء معرفة جيدة . وان الشجرة المنسوعة تقصر الشجرة لتبدو بجلاء محاكاة لمثال بيزنطي . كان القصر عبارة عن مناحة من الابواب والدهاليز والممرات والساحات وقاعات الاستقبال او قاعات عرض التحف الفنية ونماذج السلاح الفريدة المجموعة هناك من عهد البناء ، مع غزارة في الطنائس والماجند اسمينة . وكانت خدمة الخليفة والعناية بحريمه وكذلك الحفاظ على القصر تستوجب توفر خدم كثيرين وحجاب عديدين ووصفاء ووصائف لا يحصون وخصيان كان عددهم بلغ ٧٠٠٠ خصي في زمان المعتمد (٤٠٠) من البيض و ٣٠٠٠ من السود) وطبقا لبعض التقديرات بلغ تعدادهم ١٥٠٠٠ نسمة ، وبلاضافة الى هذا كان ثمة ٤٠٠٠ غلام اسود .

كانت هذه القصور الخليفة مرحا لاحداث بارزة في الحياة السياسية . واهم هذه الاحداث استقبال السفراء البيزنطيين عام ٣٠٥ / ٩١٧ ، ذلك الاستقبال الذي ترك انطباعا قويا في نفوس الذين حضروه ، وكشاهد على ذلك عدد القصص النسوبة الى شهود عيان المودعة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . ففيه جرى تعداد كل اجزاء قصر التاج وقصر الفردوس حيث طاف السفراء ، كما دونت اوصاف تلك القصور ومرافقها . وقد وقعت فيها حوادث دامية كذلك . ففي قصر الخزانة تواجد جعفر (المعتمد) عائدا من ميدان سباق الخيل بعد ان افلت بقدره قادر من محاولة اغتيال حياته التي دبرها التامرون من انصار ابن المعتز . وفي قصر التاج حوشر القاهرة عام ٣١٧ / ٩٢٩ ، وكان المدافع الرئيسي عنه ابو الهيجاء الحمداني الذي بذل كل ما في وسعه للأخذ بيده واخراجه عن طريق قصر الفردوس ، ولكن النائف جميعها كانت قد سدت ، فاضطر للتراجع الى الوراء فقتل في دار الاترجة ، في حين كان القاهرة قابعا في السجن .

ونهت مكونات قصر الثرىء عام ٣١٥ / ٩٢٧ من قبل فرسان الحرس المتبردين الذين نحروا حيوانات دار الحير ، ولم يوفروا حتى ابقار

الحاضرة، ج ١، ص ٧٥). وعلى الجانب الايمن وجدت كذلك قصور تعود للخلفاء. ففي الشمال الغربي من ذلك الموقع كان موقع القصر القديم للطاهريين وكذلك موقع قصر آخر في الزيدية (قطاعية زيدية). وكان الخلفاء يقيمون هناك احيانا بصورة مؤقتة، فجعفر المتقدر بن المعتضد سكن في قصر الطاهريين، وهناك بحث عنه الباحثون لتنصيبه على العرش. وفي الجانب الايمن من الجنوب الغربي من المدينة كانت حديقة تدعى النجمي. واستعمل السهل المتد أسفل النجمي ممكرا لقوات البريدي عام ٣٢٩ / ٩٤١ ولعقد الدولة عام ٣٦٨ / ١٧٩ لدى عودته من غزو الجزيرة وهناك اقام الامير بجكم عام ٣٢٧ / ٣٢٩ مادية عظيمة احتفالا بالعيد الفارسي (السدق، du Sadaq حيث كانت توجد النيران المتكاثفة، كما اقيم متودع كبير للمياه).

وظل الجانب الاسر مركزا للحكومة في عهد البويهيين. وممّر الدولة الذي اقام بادي الامر في قصر مؤسس اشاد عام ٣٥٠ / ٩٦١ مجموعة قصور في باب الشمسية مع ميدان لباقي الخيل وحدائق. واتفق على ذلك مبالغ طائلة وجعل لقتصره ابوابا من حديد المدينة المدورة (١). ثم بنى عند الدولة في أعلى المخرم - في موضع سكنه سيكتين حاجب ممّر الدولة الذي لم يحفظ الا بجزء طفيف منه - قصرا شامخا ذا ابواب خارجية مشمخة وقباب ابوابها الغربية تفتح على دجلة، ويضم دار العامة وقاعة الاستقبال العامة وقاعة اجتماع الوزراء، ومكاتب الوزراء ومنشآت للحرس. وهذه المجموعة حملت اسم دار الملكة، قصر الحكومة، معارضة لدار الخلافة، القصور الخليفة (٢).

وقد رفع بهاء الدولة لنفسه قصرا في سوق الثلاثاء قوس لبنائه اركان قصر ممّر الدولة الذي تم تقضه نهائيا عام ٤١٨ / ١٠٢٧ - ٨. ومثلهم مثل وزراء الخلفاء القدامى، كان الوزراء الجدد قصور فخمة، كقصر المهلب الذي لعله كان واقفا في المخرم وقد عرف باسم دار البركة، وقد ذكره التوخي (٣) وكقصر دار الخاقان الذي كان يقع على الساحل الايمن حيث ملتقى نهر الصراة بنهر دجلة:

الفلاحين المجاورين. وفي حلبة الصيد التابعة لهذا القصر، كاد الراعي ينفذ ضحية محاولة تقتله عام ٣٢٦ / ٩٣٢ - ٨. ولم تغف حتى القصور الخليفة في الحروب التي كانت بغداد مسرحا لها أثناء حكم امراء الامراء. وفي عام ٣٣٠ / ٩٤١ - ٢ نهبت قوات البريدي قصر الخليفة التقي وكان قد غادر بغداد مع ابن رائق. وخلال اعتقال المستنفي وخلعه عن العرش على يد ممّر الدولة، اخترق الديلم من اتباع الامير مقاصير حرم الخليفة واعتقلوا القهرمانة التي كانت قد تأمرت على سيدهم.

وكان القصر الوزيري بمختلف دوائره ومكاتبه خلال سطر من القرن العاشر هو القصر القديم سليمان بن وهب الواقع على مصراة الصخر، قريبا من باب المخرم. وقد اشتهر هذا القصر بوزراء من امثال ابن الفرات وعلي بن عيسى. ولكن هذا القصر بيع عام ٣٢١ / ٩٣٢ من قبل الخليفة القاهر. وفي دار سليمان بن وهب طبخت مؤامرة ابن المعز. وعلى وجه التحقيق كان هذا القصر بالغ الترف مكيفا للابنة، ذلك لان السفراء البيزنطيين ادخلوا في مرافقة قبل ان يحطوا بالثول بين يدي الخليفة. فظنوا انهم في بلاط الخليفة نفسه.

وقد لعبت قصور اخرى دورها في تاريخ بغداد في تلك الحقبة، كمكان علي بن عيسى الخاص الواقع قرب بستان الزاهر، في أعلى المخرم، وكسرح ابن مقله. وكان موقع قصر ابن الفرات في سوق العطاش في نفس المنطقة. وبين قصور الخلفاء وسوق الثلاثاء يربض قصر مؤسس قائد الجيش الأعلى في زمن المتقدر، وموضعه معروف، اذ على جانب هذا القصر شيدت المدرسة النظامية. وكان هذا القصر محل اقامة امراء الامراء المتعاقبين: ابن رائق وبجكم وتوزون والبريدي، حاشا ناصر الدولة الذي اقام دائما على الجانب الايسر في باب خراسان. وفي قصر مؤسس اقام كذلك ممّر الدولة البويهي بادي الامر. وكما سئرى صارت قصور الوزراء عدة مرات هدفا لمهاجمات المتعمرين من عسكريين ومن اوساط شيعية. اما الجانب الايمن في زمان موضوع بحثنا، فرغم انه لم يجر، لم تكن أهميته كاهمية الجانب الايسر، وهو يشتمل على احياء شعبية تجمع بالحوية، كمطبخي الكرب وباب البصرة، الخ. وعلى الضد فان مدينة النصور المدورة مهدمة، ولكن مسجدتها قائم. لقد دمرت الاسوار جزئيا، ولكن مواقعها ظلت مملوكة للدولة؛ فشيبت عليها منازل. وحسبما يقول التوخي ان وزيرا للمتقدر استفاد منها بفرض «نريبة الموقع» على كل بيت جديد يقام في تلك البقعة (نشوار

- (١) انظر الصولي، اخبار الراعي والتقي، الترجمة، ج ١، ص ١٩٨.
- (٢) ابن الاثير، مسكويه، ج ٢، ص ١٨٣، نشوار الحاضرة، ج ١، ص ٧٠ - ٧١.
- (٣) الخطيب البغدادي، ج ١، ص ١٠٥.

فعل من جانبه ، ومن الجهة الأخرى كان ينأزل
الاحاد والزندقة ، وكان السكان منقسمين الى
احزاب سياسية لا تنفك عن مناوأة بعضها بعضا ؛
والتجابه بين السنة والشيعة ، وهو قديم ، اصبح
اشد حدة خلال هذا القرن واتخذ اهمية اكبر
بمجيء البويهيين الى الحكم ، وكانوا شيعة موطنهم
الاصلي الديلم الذي مال الى الاسلام بتأثير
العلويين .

وفي صراع السلطة مع الزنادقة والمحدثين كان
الحادث الاهم هو محاكمة الحلاج الصوفي ، فان
معتقداته واتحاد النفس الفردية مع الجورح الالهي ،
واندماج شخص الصوفي في الوجد على الحقيقة
(انا الحق) ونظرية الالتزامات الشرعية ، حتى
الحج ، كانت قابلة للاستبدال ، كل هذا كان مسا
لا يتلاءم مع العقائد الثابتة . ومن جهة اخرى نشان
وعظه قد اثر في بعض الاوساط القريبة من البلاط
كنصر حاجب القندر وقائد جيش الخليفة حسين
بن حمدان . كما ان ام الخليفة المتندر شغب
كانت معنية به . انهم بممارسات دجل وتعبئة
واسندت اليه جريرة قوله انا الله ، فاعتقل وسجن
واستجوب مطولا ، ثم بعد فتوى القاضي المالكي ابي
عمرو ، بناء على طلب الوزير ابي حامد بن العباس .
حكم عليه بالاعدام . وقد نفذ فيه الحكم بعد ان
جلد وقطعت اوصاله ، وذلك في ساحة تقع امام
سجن الجانب الايمن ، مقابل باب الطاق ، بحضور
جمهرة كبيرة من الناس ، وعلمت جثته على المصلب
في السادس والعشرين من آذار عام ٩٢٢ . وكانت
هناك محاكمات اقل اهمية . ففي ٣٢٢ / ٩٣٤ ،
انهم كاتبان هما ابراهيم بن ابي عون ومحمد بن علي
السلعفاني المعروف باسم ابي القراقرس ،
بانهما يمارسان اعمالا لا اخلاقية وعقائد زندقة
(تجسيد الروح الالهي) ، فجلدا وقطع راسهما
وعلقا على المصلب . وقد زعم الاول والثاني ان
اللوهم قد تقمصت في شخصيهما ونظر اليهما
مريدوها نظرتهم الى الاله . وقد ذكرت قضيتهم
بقضية الحلاج ، وهذه الواقعة مذكورة بصورة
صريحة في رسالة ارسلها الخليفة الراشي الى نصر
الساماني مخبرا اياه باعدامهما . وهناك حادث آخر ،
هو حادث ابن شنيوز ، قارئ القرآن المنتم بقراءات
غير مشروعة . وقد مثل امام ابن مقلة ف ضرب
بالعصى حتى اضطر الى التراجع(٨) .

(٨) راجع كتاب الارشاد لياقوت حول ابن ابي عون
والسلعفاني ، ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١٠ وانظر حول
ابن شنيوز الصولي ، ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١٠ ، ١٤٥ ،
٢١٢ . وقد ملت في السجن .

وقد اقام مهرجانا عظيما فيه على شرف معز
الدولة(٩) . وفي قصر الخليفة استمرت مراسيم
تنصيب امير الامراء ، حسب التقاليد المرعية : خلع
ثياب تشريف (سبعة اثواب احيانا) وقلائد واساور
وراية ومنح كنية ولقب(١٠) .

وفيما عدا مراسيم التقليد هذه وكل مايتصل
بالسلطات القانونية الدينية التي تخص الخليفة
ومراسلته ، كانت الوزارة الخليفة تعنى بامارة
الممتلكات الشخصية للخليفة .

وفي اثناء القرن العاشر عانت الحياة السياسية
ما عانت من الالام ، لسحق الجيش عصا الطاعة بقيادة
زعمائه الذين استخدموه لارضاء طموحهم الشخصي ،
فحدثت حوادث عصيان عسكرية اثارها الاستياء
الذي كان يعقب هذا الاجراء او ذاك للسلطة او تاخر
منح اعطيات الجند او عدم كفاية الوجود منبسا ،
نتيجة للمنافسات القائمة بين عنصري الجيش ،
الانراك والديلم ، وكذلك نتيجة للحركات الشعبية
المسببة عن غلاء الحياة او التناحرات الدينية ، او
مجرد الرغبة في النهب . وستتناول هذ الامور
بالتعداد في الصفحات التالية .

الحياة الدينية :

كانت الصلاة في بغداد تقام في اربعة مساجد
جامعة ، على الجانب الايمن ، جامع المنصور في
المدينة المدورة ، جامع برائا ، الذي ربما كان في
مشهد المنطقة الحالي ، ومعنى ذلك بين المدينة
المدورة ودجلة ، وعلى الجانب الايسر ، جامع
الرفاعة وجامع القصر . وفي نهاية القرن العاشر ،
اضيف الى هذه الجوامع جامعان ، على الجانب
الايمن ، جامع حي الحرية وجامع قطيعة زبيدة
ام جعفر(٦) . وكانت الجوامع الاخرى بعض
الاهمية ، كجامع الشرقية الذي كان في الكرخ(٧) .

كانت الحياة الدينية في معظم الحالات مضطربة
تسودها القلاقل ، وذلك بسبب الوشائج الوثيقة
بين السياسة والدين ، فمن جهة كان الاسلام
الرسمي لا يتولى على تحمل السهام التي توجه
الى القاعدة مهددة وحدة الامة الاسلامية دون رد

(١) نشوار الحاضرة .

(٥) الحمري ، ذيل زهر الاداب ٢٧٦ . راجع الصولي ،

اخبار الرماهي والمقتي ، الترجمة ، ج ١ ، ص ١٧ ،

ج ٢ ، ص ٥٦ (ليحكم وناصر الدولة) ، وسكويه ،

ج ٢ ، ص ٨٥ (لمز الدولة) ، و ابا شجاع ، ص ٨٢

(لعمصام الدولة) ، خليفة عميد الدولة) .

(٦) نشوار الحاضرة ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٧) الحمري ، ذيل زهر الاداب ، ص ٢٧٦ .

والحوادث التي طبعت الحياة في بغداد في القرن العاشر بطابعها الخاص هي على وجه التحديد الحوادث التي استثارها الطاحنتان بين السنة والثيمة. وكان في المدينة موثقان رئيسيان للشيعة هما باب الطاق في الجانب الايسر والكرخ في الجانب الايمن. وكانوا يجلون بصورة خاصة جامع برانا بسبب اقامة الامام علي في هذا المكان عندما انطلق لحاربة الحواريين، وكانوا يدفعون مرتابهم في مقبرة هذا الجامع. ولكن العاصفة كانت كذلك قفلة للمذهب الحنبلي، الذي كان مثله الاضغاب في الشطر الاول من القرن العاشر البرهاري المتوفي عام ٣٢٩ / ٩٤١. وكان يمارس نفوذا على الاهالي السنيين، ولاسيما الطبقات السفلى من السكان. والحنابلة بوصفهم اعداء الاحاد الادلاء واعدا كل الممارسات المعتيرة بدعا مكروهة اظهروا ضد كل ما عدوه انتهاكا لحرمان السنة والاخلاق العامة كل مقاومة (كالخمر والقيان ووجود ابة امرأة او اي غلام بجانب رجل في الشارع والمناخ الحنابلة، الا ما سمحت به الشريعة) كما وقفوا ضد المراسم الشيعية وضد الشيعة انفسهم واماكن اجتماعاتهم. وكانت السلطة تنفذ طورا قرارات تجري في نفس الاتجاهات التي تجري نهبها الاتجاهات الحنبلية وتارة تمضي في سبل متعارضة معها. وعلى هذا النوال فان القنصر امر عام ٣١٣ / ٩٢٥ بتخريب جامع برانا، لان الناس كانوا يلتمسون فيه محابة الرسول. وعلى العكس في عام ٣٢١ / ٩٣٣ اصدر علي بن بليق حاجب القاهر امره بان يلتم معاوية في الجوامع وكذلك يزيد، ولدى استنكار العامة قرر القبض على البرهاري. الذي اُلحق في الهرب في حين كان عدة من اصحابه متنفذين في عمان. صحيح ان ابن بليق قد اعتقل واعدم بعد ذلك بفترة قصيرة. وان القاهر اتخذ اجراءات تتفق مع ميول المذهب الحنبلي فحرم الخمرة والفناء وامر ببيع القيان بالقوة. ولكن يقال انه كان يهدف الى شراء القيان بثمان زهيدة لارضاء شهبائه الخاصة.

ومع ذلك فان الفظائع التي ارتكبت من قبل انصار البرهاري كانت بالغة الشناعة بحيث ان الراضي كان مجبرا عام ٣٢٣ / ٩٣٥ على اصدار مرسوم ضدهم. صاروا يكسبون دور القواد والعامة: فان وجدوا نبذا اراقوه، وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الفناء. وصاروا يعترضون في البيع والشراء. وفي مشي الرجال مع النساء والصبيا، تاذا راوا ذلك سالوا الرجل عن الذي معه من هو. فاخبرهم. والا ضربوه

وحملوه الى صاحب الشرطة حتى لرهجوا بفداده (٩). وقد حظر عليهم صاحب الشرطة بدر الخراساني التجمع في الدروب والخوض في المجالات الدلجية، وامرهم ان ينطقوا بالبسملة بصوت عال اثناء الصلاة (١٠). ولكن هذا كان جهدا ضائعا. لقد مضوا الى حد تحريض العميان في المساجد على ضرب الشافعية الذين كانوا يبرون من جانبيهم بعضهم.

ولهذه الملة فان الراضي وبغ الحنابلة في مرسومه على نشر المعتقدات المشبهة بالجعة ولمن اخيار المسلمين، واتهام اعضاء الشيعة من مقبرة الرسول بالكفر، ودعوة المسلمين الى احترام قبر ابن حنبل في حين انهم يسمون زيارة قبر الائمة، وهدمهم باقسي العقوبات، كالجلد والتفني والموت وحرق دورهم اذا لم يتفكروا عن اعمالهم.

وفي عام ٣٢٦ / ٩٣٨ نفذ حكم الاعدام في حنبلي ادين باحداث القلاقل وكان قد فر من السجن فقبض عليه. وفي عام ٣٢٧ / ٩٣٩ شمر صاحب الشرطة عن ساعديه لكسر شوكة الحنابلة الذين ارادوا منع الناس من حضور الاحتفال بعيد ليلة ١٥ شعبان باعتباره بدعة. وقد اضطر البرهاري على الاختفاء، ومات بعد ذلك بقليل. وفي عام ٣٢٨ / ٩٤٠ (عام ٢٢٧ حسب رواية الصولي) اعاد الامير بحكم بناء مسجد برانسا وتوسيعه نزولا على طلب الشيعة. ولكن عند وفاته في السنة التالية تظاهر الحنابلة وهم يصيحون «لقد تطهرت السنة» وحاولوا هدم المسجد، ولكن دون جدوى، فان الخليفة المتقي الذي زين هذا المسجد سابقا، وذلك باقامة منبر فيه يحمل اسم هرون الرشيد وجد في خزانة مسجد المنصور، اصدر اوامره بالقاء القبض على رهط من الحنابلة وحراسة جامع برانسا (١١). ومع ذلك فان المتقي نفسه امر عام ٣٢٢ / ٩٤٣ بالقاء القبض على زعيم شيعة باب الطاق بالرغم من ميلان الامير الحمداني ناصر الدولة اليه، الذي حيد طبقا لرواية الصولي انتشار العقيدة الشيعية في بغداد اثناء امارته (١٢).

ويتعتبر تسم معز الدولة من السلطة وصول امير دبلبي شيعي بصورة مكتشفة الى الحكم، ومع ذلك فقد تجنب أحداث ثورة شيعة باعطاء الخلافة

(٩) ابن الاثير ج ٨ ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(١٠) الشيعة والاثلية والشافعية ينطقون بالبسملة بصوت جهر، اما الحنابلة لا.

(١١) انظر الصولي، ج ٢، ص ١٩، والطبيب، ج ١، ص ١٠٩ - ١١٠.

(١٢) انظر الصولي، ج ٢، ص ٦٨ - ٧٨ - ٨٦.

سببها الطلب الى الامر المساهمة في الجهاد المقدس ضد البيزنطيين ، تحولت القلاقل الى اشتباكات بين الطائفتين التي ساند شطر من الجيش هذه الفئة وساند الشطر الآخر الفئة الأخرى . ساند الدليم الشيعة ودعم الأتراك السنة . وخلال دفعتين تحزب الضابط الكلف بعمادة النظام ضد الشيعة فأقرق الكرخ . وفي عام ٣٦٣ / ٩٧٤ سفلح الرعاع من السنة دماء الشيعة . مستندي الى دعم الحاجب سيكتين قائد الجيش : فلذا هؤلاء الشيعة بجانب الكرخ الذي أحرق بهم . وعلى العكس اسند الامر بختيار الشيعة . وكتب الترمذ مشحونة بالقصص المروية حول النزاعات التي نشبت بين الكرخ الشيعي وباب البصرة السني . هذه المشاجرات التي اسهم فيها الرعاع والعزير . على حد سواء . من هذا الجانب أو ذاك . في حين كان الاشراف (استرقراطية الاسلام) يبدون قصاراهم : كما في عام ٣٩١ / ١٠٠٠ ، لا يتساقط طغيان هذه التجاوزات ومن جهة أخرى كان الدليم والأتراك في تطاحن وفي تدخل لاصلاح ذات البين . وفي عام ٣٨٤ / ٩٩٤ تلاحظ وقوع المصادمات والمناوشات بين السنة والشيعة والحرائق المتعاقبة في عدة احياء وجرائم العيارين المتواصلة . وفي عام ٣٨٩ / ٩٩٨ - ١ يرد السنة على احتفالات الشيعة في عاشوراء واحتفال غدري خيم بحفلة تمجيدية للرسول وابي بكر اذ هما في الفار في الثامن عشر من رمضان وباحياء ذكرى مقتل مصعب بن الزبير العدو الاله للمختار التقني الشيعي وذلك في ٢٦ ذي الحجة . وفي عام ٣٩١ / ١٠٠٠ - ا حدثت معارك بين غوغاء الكرخ والأتراك الذين يساندهم السنة . وفي عام ٣٩٣ / ١٠٠٢ - منع حاكم العراق ابو علي بن اساذ هرزم عميد انجيوش اهالي باب الطاق وباب الكرخ من الاحتشاد بعاشوراء . وكذلك منع السنة في باب البصرة وباب الشيعي (الجانب الايمن في الشمال الشرقي من باب البصرة) من الاحتفال بموت مصعب . وفي عام ٣٩٨ / ١٠٠٧ - ٨ ضرب هاشمي من باب البصرة الفقيه الامامي ابن المعلم في مسجده بالكرخ : وكان قد حكم عليه بالنفي عام ٣٦٣ من قبل عميد الجيوش ، فنار الشيعة وشتموا فقهاء السنة (ومن بينهم الشافعي الاسفرائيني) . ففر هؤلاء الفقهاء .

ولم تقطع القلاقل الا بعد عدة اعتقالات وحبوس ونفي ابن المعلم . وتسجيل المؤرخون عام ٤٠٦ / ١٠١٥ - تصادمات بين اهالي الكرخ واهالي باب الشيعي ونهب تنزق القلائن (الجانب

الى علوي واحتفظ بعباسي بمثابة درية تحاسب . لخدش مشاعر اهالي السنين في بغداد . ولكنه استحسن الشيعة : وكان من أحد اسباب خلع المستنكفي عن العرش عام ٣٢٤ / ٩٤٦ ان هذا الخليفة امر بالناء القبض على زعيم شيعة باب الطاق ورفض اطلاق سراحه . وفي عام ٣٤٠ / ٩٥١ - ٢ - سجن الوزير المجلي عددا لا بأس به من الناس الذين كانوا يؤمنون بالوهمية ابن ابي القرائر وضرهم بالعصي . ابن ابي القرائر الذي جثا على قصة اعدامه انفا . تما كانوا يتولون بتجسيد على وفاطمة في شخص رجل وامرأة من بينهم (١٤) . وقد تشفعوا لدى معز الدولة بشخصية كانت تساند كونهم من شيعة علي . فعمل الامر على اطلاق سراحهم . ولم يعارض الوزير لثلا يومه بتسرد الشيعة . ان المشاحنات بين الشيعة والسنة . التي تفشت في بغداد قبل مجيء اليوبييين . اصبح متصلة الحلقات بعد ذلك . وزاد الطين بلة شعور الشيعة بانهم مدعومون من قبل السلطة . وكانوا اترياء بصورة كافية . فثي خلال اضطرابات عام ٣٤٩ / ٩٦٠ سملت الضفتين فتمعت اقامسة صلاة الجمعة في المجاهد . عدا مسجد برائسا . وقد حامت الشبهات حول هاشميين اتهموا بانهي كانوا وراء هذه القلاقل فاعتقلوا ولكن اطلق سراحهم غداة واد . وفي عام ٣٥١ / ٩٦٢ كان الامر نفسه قد امر بوضع كتابات من الثنائ على جدران المساجد لاغنة معاوية وابا بكر . الخ . وقد حيث خلال الليل . فقد حصل الوزير المجلي من معز الدولة على وعد بعدم اعدائنا ثانية : على ان تحل محلها كتابات ارفق منها تلحن من ظلموا آل البيت فقط . دون تسميتهم باسمائهم الحقيقية . وخطا الامر خطوة اخرى في السنة التالية . وذلك حين امر بالاحتفال الرسمي السنوي بصرع الحسين (عاشوراء : ١٠ محرم) وذلك باقامة تظاهرات حداد (مناجات جنازية . نساء في الدروب شملت الشعور بمرقن ثيابهن) افعال الحوانيت . ارتداء المسوح . رايات سوداء تشر في الاسواق . الخ . وسنوية واقعة غدري خ (في ١٨ ذي الحجة) باقامة افراح واشغال مصاييح احتفالاً بعهد الرسول الى علي . وهذه الاحتفالات ما لبثت ان اطلقت من فورها المشاجرات والمصادفات من عقابا بين السنة والشيعة .

وفي ايام بختيار ٣٦١ / ٩٧٢ ، اتساء الاضطرابات التي شب ليهيها عقب تظاهرة شيعية

(١٢) راجع حول فرقة القرائين البغدادي ، الفرق ، ص ١٢٩ - ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

كان لبغداد سوقان رئيسيان - سوق الكرخ على الجانب الايمن وسوق الثلاثاء على الجانب الايسر - عدا الاسواق الاخرى على عدوتي النهر . وكانت الملاحة نشيطة في دجلة وفي نهر عيسى ونهر الصراة (بالنسبة لالاخر تنقل منه البضائع واليه انطلاقا من موضع المحول بسبب شيق القناة) وهي مرتبطة بنهر الفرات . وكانت هناك ثلاثة جسور تسهل المواصلات بين الضفة اليسرى والشفقة اليمنى : الاول بمواجهة باب الطاق والثاني اسفل منه والثالث مقابل سوق الثلاثاء ، على الاقل ابتداء من عام ٢٨٢ / ٩٩٣ ، كما يروي الخطيب البغدادي . اذ لم يكن الجسر الثالث موجودا قبل ذلك .

وكانت الصناعة الرئيسية هي صناعة النسيج ، ومنوجات بغداد الحربية والقطنية المترفة مستوردة بصورة خاصة ، كذلك كان يصنع في بغداد السقلاطون (نسيج حريري مقصّب بالذهب) ، واللحم (نسيج سداه تقطع من الحرير لا لحمه) والعنابي (نسيج حريري او قطني يعمل في الخي المسمى خي العنابيين) والعمائم غالبية الاثمان . وكانت هناك ايضا منتوجات اخرى تصدر من بغداد بنورنا عنها الجغرافي المقدسي او المؤلف الفارسي المجول لحدود العالم . وكانت ببغداد تستورد من الموصل (القمح والديق) ومن البصرة (التور ومنتوجات الشرق) وكانت هذه التجارة بالغة الخطورة . وقد سهلت التجارة اوراق الاعتماد التي كانت تستعمل حتى في الاغراض الشخصية الخاصة . وهكذا فان الامير الحمداني سيف الدولة كان قد نزل في بغداد في دار الفتيان ، فترك عندئذ بقوله عنها صكا بألف دينار على مصرف صرف لحامله المبلغ لدى الاطلاع .

ولكن الميت بالاموال العامة والاهمال الاداري ولجوء السلطة الى اجراءات المصادرة والغرامات والرسوم القاذحة الجائرة واساءة استعمال السلطة من قبل الموظفين في اقل السلم الاداري وانداسه والاخلال بالامن نتيجة للحروب الاهلية واعمال المصيان الشعبية والمسكرية وجرائم الفوضى والعيارين ، هذه البلايا كلها لا يمكن ان تؤدي الا الى تأثير كارثي مفعج ، ويجب ان نضيف الى ذلك الجوائح الطبيعية كالطغفانات (٣٢٨ - ٣٣٠ - ٣٦٧ - ٣٧٠ - ٤٠١) والحرائق المرضية (٣٠٨ - ٣٠٩ ، ٣٢٨ ، ٣٢٢ في الكرخ ، ٣٤١ في سوق الثلاثاء - للاطلاع على الحرائق كنتيجة لاعمال المصيان انظر ابيد .) وكالطواعين (٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٤٢٣) وكفوزات الجراد (٣٤٢) . كل هذه الوقائع كانت عاقبتها ارتفاع الاسعار والبؤس او الجوع

الايمن ١ : فتمتعت السلطات بتظاهرات الشيعية في عاشوراء . وحدثت معارك جديدة عام ٤٠٨ / ١٠١٧ - ٨ بين السنة والشيعية في الكرخ . وفي عام ٤٢٠ / ١٠٢٩ تنوه خطيب بمبارات منطرفة في جامع برانا . فارسل الخليفة الى الجامع بخطيب رحمه المصلون فانقطعت الصلاة . فجاء اعيان الكرخ الى الخليفة معترضين وحصلوا منه على الاذن باستئناف اقامة الصلاة والخطبة في جامع برانا .

وفي عام ٤٢٢ / ١٠٣١ اندلعت نيران حرب اهلية حقيقية في بغداد . وكان الخليفة قد سمح للناس بالسفر لاداء الجهاد المقدس واعطاهم راية . فاستعرضوا انفسهم مسلحين في باب الشعر وهو يتفون هتافات معادية للشيعية . فثار هذا التصرف ثائرة الكرخ وابتكع عين الفتنة نهبت دور البيود المنهجين بملاذ الشيعية . ثم اجتمع السنة في الجانبين واعانهم العديد من الانراك فرحقوا على الكرخ واشعلوا النيران في الاسواق . وامتدت الفتنة الى الصفتين ، ذلك لان الخليفة (القائم بامر الله في ايامه الاولى) كان قد تحزب ضد الشيعية والكرخ ، فارتدت مجددا اسواق اخرى فاضطرت السلطات الى قطع الجسر . وزاد الطين بلة انتشار العيارين في جميع ارجاء المدينة وانماكنهم باعمال النهب ليل نيار . وقد دامت القلاقل التي شاعت في شباط حتى تشرين الثاني . ونشرت الفوضى اطنابها بحيث ان جماعات من الشيعية قاتل بعضها بعضا وقتله .

يبدو جلينا ان السلطات كانت في معظم الاحيان عاجزة او متواطئة ، فان القلاقل كما سنرى كانت كذلك على الضعيفين الاجتماعيين والاقتصاديين .

الحياة الاجتماعية والاقتصادية :

كان النشاط الاقتصادي ببغداد في القرن العاشر مايزال هائلا ، فخلال النطر الاول من هذا القرن ساهم ترف بلاث المقتدر ومجتمع الطبقة العليا في ديمومة هذا الانتعاش ، كما ساهم ببلدخ وزراء معز الدولة وفعالية معز الدولة في هذا المجال ، ولكن القلاقل في عهود امراء الامراء السابقين على معز الدولة او قمت شربة معيتة على راس رخاء المدينة وبلهنيها . وبعد معز الدولة كان عبد بختيار على وجه التأكيد شليل الجدوى على الحياة الاقتصادية . وقد اعاد عقد الدولة البيوحصة لحنية قصيرة ، ولكن نهاية فترة الحكم البويهسي كانت بلا شك نهاية مكرفة اذ تقص مجموع المساحة المسكونة كما تقص السكان .

القوغاء تشرق الملائكة في الحمامات ، تبتجس
موكا حنائيا ، يا ، الأسفار ترفق

٤٢٩ ابتزازات احد ضباط بجك تحس غدا
من الاغنياء التجار على القزاز من بغداد .
مقام ديلم الامر كورنيج التي شكها
الصولي من الشكوى بسبب مثوله . يتفخر
الكان بمفد ديلم في جامع انصر
ويذبحونهم اثناء فرادشه لدى وصول
رائد .

٣٣. ارتفاع سعر الطحين : انما يوجب له
الامير الحمداني في الموصل نثره من
الدقيق .

٣٣١ اماره ناصم الدوله الحمداني . اربن

الاسعار . جوع . طاعون . الناس بسلو
الجراد . لا يستطاع دفن الموتى لكثرتهم .
يزداد عدد الموصي . كثرة من الناس تبخر

الدينه . بعد سفر ناصر الدولة بهاجد الاخي
الجند الذين يصادرون الفحين . ترتفع
الاسعار . الشقي ابن حمدي ينهب السفن
التي تمر في دجلة . يلقى القبض على افراد
عصابة ابن حمدي ويشتقون . ترتفع اسعار
الفراخ في بغداد نتيجة اعمال سرقتنا في
الطرق .

٢٣ خروج الاغنياء اليهود والزرادشتيين اناء
امارة نوزون . ابن شيرزاد كاتب نوزون يعتقد
ميشاق مع ابن حمدي يؤمنه على عدم معانيته
على سرقاته لقاء تسليم ١٥٠.٠٠ دينار
شعريا للخرقة . ومع ذلك لم يشفع له هذا
المشاق لانه اعتقل بعدئذ وقتل . حرق
الكرخ بعد نهيه .

٣٣ بضع عصابت للرقاق حصة التنظيم نعت

فسادا في بغداد الشرقية فتباحثوا هجوماً

مسلحا وتمارس أعمال السمرة وتحيا حياة
انحلال . وثمة جماعة أخرى من السمارة
والوسطاء كان مقرها في الجبال

من دار الروم ، كانت كما يقول الصولي

(ج ٢، ص ١١٣ - ١١٤ - ١١٧، تفتيح بأمر
الحاكم)

في مسند بغداد الشريفة .

٣١ تحمل المصادرات الثقيلة والضرائب الفادحة أثناء اامرة ابن شيراز تجر بفداد على تركها. هجمات عديدة للصوم. ارتفاع الاسعار والضرائب التي تفرض على الفلاحين.

التموين بسب الحرب بن ناص الدولة ومعز

٣٨٢ تمرد الدليم ضد بهاء الدولة . نهب قصر الوزير أبي نصر سابور . ارتفاع الاسعار : رطل من الخبز يباع بأربعين درهما . هيجان في الكرخ يقيم بهمجية ووحشية .

٣٨٣ ارتفاع سعر الطحين وسعر الحنطة ارتفاعا مذهلا في العراق كله .

٣٨٩ غب فرش الوزير تربية عشيرة على مشوجات الحرير والقطن . نار سكان حي العتابة وحي باب الشام واشعلوا النصار في نهاية ادارة . اعتبر الرعاك مسؤولين . اُقتل أربعة منهم واعدوا .

٣٩٢ أعمال عسبان جديدة ولب ونهب يرتكبها العبادون : نهب كنائس واهرق . ارتفاع الاسعار وتفاقم التماس . افقار الاسواق من الناس والبضائع . المدينة يهجرها السكان . يعتقل عبادون عاويون وعباسيون ولصوص اترك ويفرقون في دجلة .

٣٩٧ تمردات مدنية وعسكرية ولدها غلاء المعيشة . ٤٠٨ المدينة يهجرها الدليم تحت ضغط الشعب . جرائم العبادين .

٤١٦ جرائم العبادين . أعمال قتل ونهب . حرق الكرخ . ارتفاع الاسعار .

٤١٧ الاتراك مادة المدينة يصادرون الممتلكات وينزعون مائة ألف دينار من الكرخ . العبادون يحدون حدودهم . الجيش يحرق الكرخ ويسرق منه مبالغ جسيمة . افلاس اشراف الناس .

٤١٩ عسبان الاتراك ونهجه دار الوزير .

٤٢١ لصوص اكراد يسرقون خيول الاتراك في بغداد . جلال الدولة الامير البويهبي يفسع خيوله في منجى من السرقة في دار المملكة .

٤٢٢ اشراك العبادين في المطاحنات الجارية بين السنة والشيعية .

٤٢٤ ينفذ العبادون اقوياء الى درجة انهم ارغموا قائدا عسكريا على مبادلة أربعة من رجاله اعتقلهم بأربعة من رجالهم كان اعتقالهم القائد .

٤٢٥ لحماية السكان من غوائل العبادين يكلف الرئيس التركي بالسهر على النظام في بغداد الغربية . اعتقال رئيس العبادين الشيبير

الدولة تخلق جماعة مربعة في بغداد يضطرب الناس معها لاكل كلابهم وقططهم وحسب خروب السوك، الذي أحدث تلبكات واضطرابات في الامعاء : حالات اكل لصوص البشر . بيع البيوت والممتلكات الاخرى برغيف . لا يستطيع دفن الموتى جسيما . الكلاب ترعى في الجثث . خروب فريق من الناس الى البصرة فيموتون من الإنهك لدى وصولهم البصرة .

٣٤٨ معارك شارية في صفوف الرعاك تبعها حرائق .

٣٤٩ ومايليا . اضطرابات مبغيا الصراع بين السنة والشيعية (انظر الى ماسلف) .

٣٥٦ تظاهرات الاتراك والدول المتحاذين للمطالبة بزيادة مرتباتهم . مشادة بين الرئيس التركي سبكتكين وبختيار .

٣٥٨ ومايليا يبيت بالقوة الجارية الاسعار لكافة غلاء المعيشة . هذا الاجراء لم يجد الا في تفادى اليأس . فيسحب المرسوم . نزوح السكان الى الموصل وسوريا وخراسان .

٣٦١ ومايليا . معارك بين الشيعة والسنة (انظر الى ما تقدم) . تمرد عسكري .

٣٦٢ عسبان الدليم اثر اعدام اقدمهم .

٣٦٣ غتب منازعات ومشاحنات بين سبكتكين وبختيار يبعث الخليفة الطيع مع وزيره ابن باتيا مشروع الفرار من بغداد . يعيده اليها سبكتكين بالقوة .

٣٧٢ ومايليا . نزاع بين اولاد عسبد الدولة (صدام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة) يتدخل فيه الترامطة .

٣٧٢ جوع في العراق وبغداد . موتى كثيرون .

٣٧٥ يفرض صمصام الدولة ضريبة العشر على المنوجات الحربية والقطنية . يعقد اجتماع للاحتجاج في مسجد المنصور . تمرد عسكري .

٣٧٦ غلاء الاقوات الفاحش في العراق بأسره ونزوح السكان . نزاع بين الاتراك والدليم في بغداد .

٣٨١ عسبان الدليمي . تعطيل الخطية . قلاقل في صفوف العامة وحرائق في احياء متعددة .

(١١) انظر فوميس المنصوري ، رقم ١٢٢٢ . يدعى كذلك (خروبا نبانيا) .

بالبرجمي واعداده ، وكان انصاره قد ارغموا الخليفة على ذكر اسمه في الخطبة ، كما لو كان اميرا حقيقيا ، وكان يتميز بخصال الفرسان .

٤٢٦ عجز الجيش عن منع سمرقانات الاكراد وانتهاكات العيارين .

٤٢٧ الاتراك يكرهون جلال الدولة على الفرار من بغداد .

دامت هذه الاضطرابات حتى نهاية الاسرة البويهية وقدم السلاجقة .



تجاه كل هذا ماذا بمقدورنا ان ندون من معلومات يقينية لصالح عمل الحكومة ؟ شيئا قليلا . في الجانب الايجابي لوزير القندر على بن عيسى . لقد اضطلعت سياسته الاقتصادية بجمهرة من الظروف العصبية . كانت القضية الملحة قضية اقامة مستشفيات في بغداد ، فأسس مستشفى في حي الحرية عام ٣٠٢ وفتح مستشفىين آخرين عام ٣٠٦ ، بيمارستان السيدة الام وبيمارستان القندر ، مع تنظيم شؤون الصحة العامة والاحتياط بمشغليتها بصورة تصلح لان تكون امثولات حسنة في تلك الحقبة . وكان امراء الامراء الذين تعاقبوا على السلطة مشغوفين بتأمين السلطة والحفاظ عليها والحصول على الاموال . فاذا كانوا قد بدلوا جيودهم لاستيابة النظام في بغداد ولتقلع دابر الجرائم فلمصالحهم الخاصة ، اما رخاء السكان فلم يكن يهمهم الا قليلا . لقد اصلح معز الدولة البويهي الثغرات وانفق نفقات باهظة على قصره فانتفع الاهالي من هذه الاعمال بعض الانتفاع . واعاد الرفاه الى عهده الاول في بغداد بعض الوقت بانعاشها الى حد بيع عشرين ليبرة من الخبز السعيد بدرهم واحد . ولهذا أصبحت له شعبية في بغداد . وكانت حوادث الفتن نذرة في عهده . وسعر الشعب بالنبطة والابتهاج دون شك لدى رؤيته المشاهد الجديدة التي ادخلها على بغداد ، كشاهد المصارعات في الميادين العامة التي كانت تتخللها الموسيقى وتكللها الجوائز . او كمنابر مسابقات الملاحة في دجلة (١٥) . ولكن ينبغي ان

(١٥) ابن الجوزي الذي اوردته ميتز ، ٢٨٥ ، رقت مشاعر الشعب فتحس كذلك بجبال المشهد الذي عرّضه بمناسبة اعياد النيروز الفارسي التي عرفت عادة بعض الشعبية للديم . ولا جلا معز الدولة لرؤية الوزير (الشيرازي) ابن الفضل عباس بن الحسين في داره (الواقعة على شاطئه نهر العراء) كان قد مد حبل من

نقول انه افتتح عام ٣٥٠ نظام بيع الوثائق العنصرية (كمنصب القاضي ووظيفة الحاسب) وذلك رغم انف الخليفة .

كان عضد الدولة اداريا فاعرا لبغداد والعراق . وكانت المدينة بعد اماره بختيار قد تخربت او كادت تتخرّب . فان هذا بلغ به الاسر ان هدم القصور ، كقصر شيراز (١٦) ، ليحمرادها . فجدد عضد الدولة بناء المنازل ، بل لم يتردد في هدم البيوت المائلة للانهيار ليقبها مرة اخرى احكم بناء واحسن جمالا ، وقد انفق مبالغ خائلة في اعادة بناء المساجد . ومنح الحرس اعطائيد بصورة منتظمة . وكذلك فعل مع المؤذنين والائمة والقراء . وامر باعادة زرع الاراضي المخربة . مرافقا بذلك على الاستقرانات من الخزينة . على ان تعاد اليها ثانية . كما امر ببناء سدود على شفاف دجلة واعاد بناء البيوت السالحة . واستأنف اعمار بستان الزاهر على الشاطئ الاسر . وجدد حفر القنوات ومسابر المياه واحكم قواعد النجور ونش الانص جسر باب الطاق . كل هذا حدث عام ٣٦٩ / ٩٧٩ ، وفي عام ٣٧١ / ٩٨١ مبر بغداد بمسندى جريد حمل اسمه . وفي عهده اقيمت مراسيم نرب الطويل امام بابه في اوقات الصلاة الثلاثة الرئيسية في اليوم . وهو امتياز لم يحصل عليه معز الدولة من الخليفة الطيع . وقد امر احد خلفائه سلطان الدولة (٤٠٣ - ٤١٢ / ١٠١٢ - ١٠٢٢) بضرب الطين في اوقات الصلوات الخمس (١٧) . أما خلفاء عضد الدولة المبرولون بين فارس والعراق ووزرائهم فانهم لم يعموا على بغداد بعمعة تذكر . ومع ذلك فان الوزير ابا نصر سابور بن اردشير قد اسس في بغداد عام ٣٨٣ / ٩٩٣ دار العلم التي هي عبارة عن جامعة بمكتبتها العظيمة المروفة عليها . وكانت بغداد حتى ذلك الحين مازال مركزا لتساق التتاني لذلك لم تفقد اهميتها العالية رغم التنازل .

لا تنمالك انفسا من الاندهاش من كثرة الفتن والاضطرابات والمجاعات والهزات المختلفة التي شقيت بها بغداد خلال القرن العاشر وفي مطلع القرن الحادي عشر . ان غلاء الحياة ، الذي كانت مسؤولة

الفقة الاولى الى الفقة الثانية من دجلة وغلى النذر بالازهار الشدودة بالخيوط . ويقول العصري في ذيل زهر الآداب ص ٢٧٥ ان زوارق يزدحم فوقها الناس احتشدت فوق النذر . وسجودن في هذا النهر وصف القصر الضخم من السكر المؤلف من اربعة طوابق الذي رفعه الوزير في سبانه .

(١٦) مسكويه ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

(١٧) ابن الاثير ص ٣٦٨ و٣٠٨ ومسكويه ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

عنه الإدارة السيئة . كان متصل الحلقات وهو يشر: جزئيا أعمال السرقة والنهب ، ولكن يجب ان نلاحظ مليا في بعض الاوقات تراخيا تاما من جانب السلطة من جهة وتدهورا اخلاقيا مرعبا من الجهة الأخرى . اننا نرى امامنا مشهد مدينة ماتزال جاشدة بالسكان ولكنها متروكة الى رحمة نزوات الجنود والى سطوات اللصوص والى ونبات المجرمين في مجال تفاقم شر العصابات وتفشي السمرة والدعارة ونشاط كل هذه العناصر بصورة مكشوفة . وماذا عسى ان نقول عن العيارين الذين اسرفنا في ذكرهم؟ ان تاريخهم لا يبدأ من هذه الحقبة . لقد رايناهم في العصر الفائت . وكانوا منظمين - ياعدون اللطة احيانا ويقارعونها احيانا . كما استنجد بهم ابن شيراز عام ٣٣٤ (مسكويه . ج ٢ . ص ١٩١ ليقرع بهم رأس معز الدولة والدليم . ونحن نميل الى ان نرى فيه شيئا آخر غير كونهم شقاة ولصوصا .

لأنهم كانوا منظمين تنظيما شبه عسكري ومنصاعين للاوامر نخبيا ، لان بعض رؤسائهم امثال ابن حمدي (١٨) أو البرجمي قد اقاموا الدليل على تمسكهم بالروح العسكرية . فائسروا مهاجمة الاغنياء ولم يتعرضوا للنساء والفقراء . وهذا انجاه رومانتيكي معروف للغاية في الادب الاوربي . وقد استطاعوا في بعض الازمنة ان يقفوا سورا بوجه الفوضى الشاملة ، ولكن مهما تكن الاخطاء السياسية التي اسهمت في نشوء هذه الفرق من العيارين فينبغي ان نجزم جزما سادقا ان العيارين كانوا احد الاسباب الرئيسية فيما حاق ببغداد من الرزايا وما نزل باحتيا من تدهور في تلك الحقبة التي نحن بمدها .

(١٨) راجع التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .



مجلة تراشيعة فصلية

تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية

رئيس التحرير

عبد الحميد العلوي

المورد المجلد الثاني حزيران ١٩٧٣ العدد الثاني

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

دار الحرية للطباعة
مطبعة الحكومة - بغداد